بناء القراءة للنص الأدبي

محمَّد بن سالم بن محمَّد الجامودي
جامعة السلطان قابوس (سلطنة عُمان)

ملخص:

إن النص الأدبي لا يبوح بكل مكنوناته، ولا يفصح عن مخبوئِه، ولا ينجلي معدنه، ولا يَبِينُ عن دلالات ومعانيه ، ولا تظهر أبعاده ومراميه ، إلا بقرآءةٍ قائمةٍ على ركائز علمية قارّة، ومنهجية واضحة تتماشى مع خطواته ومراحله.

ولتكون القرآءة أكثر قرباً من النص ، ينبغي أن تتوافر في القائم عليها مواصفات خاصة ، يتحدد بها مستوى النجاح في التحليل ، إذ المحلل مبدعٌ ثانٍ قد يفوق مبدع النص في نصه، أو يتساوى معه، أو يكون في عمله دون مستوى النص.

كما أن على القارئ – أولاً وقبل كل شيء– أن ينطلق من النص ذاته، فالنص يبين عن المنهج الذي يتناسب معه، والأدوات التي تصلح له ..؛ إذ لكل نص خصوصية تميزه عن غيره، وسمات ينفرد بها عما سواه، ويأتي هذا المبحث ليجيب عن تساؤلاتتعِنُ لكل من يرغب في تحليل نصٍ أدبي ما، وهي:

ما الاشتراطات التي ينبغي توافرها في كل من:

1- قارئ النص الأدبي.

2- النص موضوع القرآءة .

3- العملية الإجرائية للقراءة .

كما يقدم هيكلا مقترحا لعملية القرآءةللنص الأدبي في كل مرحلة من مراحلها.

الكلمات المفاتيح: (تحليل ، آلية ، بناء ، هيكل ، قرآءة ، نص).

Abstract

A Novel Approach to Reading Literary Texts

The hidden messages and invisible treasures of any literary text can be explored and unmasked only through a principled and systematic analysis which should be based on empirical grounds and a clear methodology that considers all the different layers of a literary text. In order to give a literary text its due literary analysis, readers have to be equipped with the type of knowledge that enables them to choose the proper analytical paradigm , for the reader of a literary text may add an artistic touch to the text that is equal if not superior to that of the original author or may not give the literary text its due analysis. Yet, the starting point for any literary analysis should be the text and should adhere to a certain methodology that suits both the text and the applied approach of analysis. This study aims at giving insight into the stipulations readers of a literary text need to meet, the text, and the reading strategy. The study proposes a new reading paradigm which considers all the different levels and layers of a literary text.

إن النص الأدبي لا يبوح بكل مكنوناته، ولا يفصح عن مخبوئِه، ولا ينجلي معدنه، ولا يبين عن دلالات ومعانيه، ولا تظهر أبعاده ومراميه، إلا بقرآءة قائمة على ركائز علمية قارّة ، ومنهجية واضحة تتماشى مع خطواته ومراحله، يعتمدها القارئ، " أو على الأقل إلى سنة في البحث يسير في ضوئها، وإن دعاه تقدم البحث إلى تعديل ما فيها وتهذيبه"[1]

ولتكون القرآءة أكثر قرباً من النص ، فينبغي أن تتوافر في القائم عليها مواصفات خاصة ، يتحدد بها مستوى النجاح في التحليل ومقارباته . فالمحال مبدعٌ ثانٍ قد يفوق مبدع النص في نصه ، أو يتساوى معه ، أو يكون في عمله دون مستوى النص .

كما إنه لا بد للقارئ أولاً وقبل كل شيء أن ينطلق من النص ذاته، فهو ما يبين عن العلم الذي يتناسب معه ، والمنهج الذي يصلح له ، فإن القرآءة تختلف باختلاف زوايا النظر التي ينظر منها إلى النص ، وتختلف باختلاف الهدف المأمول، كما تختلف باختلاف مداخل التحليل ، فقد يكون المدخل بنوياً، أو أسلوبياً، أو دلالياً، أوتداولياً، أو سيميائياً، أوغير ذلك من المداخل المعتمدة في قرآءة النص وتحليله .

وحري قبل الشروع في المبحث الوقوف على أهم مصطلحاته:

1- **البناء**:

البناء: التشييد، و(البَنْيُ): نقيض الهدم[2] وهو "مجموعة القوانين التي تحكم سلوك النظام ومكوناته "[3]

2- **القراءة**:

القراءة ليست إعادة كتابة النّص أو شرحاً له ، كما إنها ليست حكاية أو سلخاً ،إنما هي منهج قارٌ له أُطره ، وله موجهاته ، وله مستويات ومعايير يقوم عليها ، وبها يتم " تقسيم بنية النص إلى

وحدات أساسية ، وفق رؤية منهجية محددة سلفاً " [4] ، ومن ثَمَّ تناول الظواهر الواردة بالتحليل ومحاولة التأويل .

3- **النّص** :

تنازع مفهوم النص (Texte)،عدّة تعريفات ،فقد كان " مفهوم النص في الأوّل نحويا ،يسعى إلى التنميط. فالنص، من وجهة أنحاء النص ، هو « مقطوعة مشكّلة تشكيلا سويّا من جمل مترابطة تتدرّج نحو النهاية »، وقد انتقدت هذه التأكيدات المختلفة انتقاداً واسعاً ،لأنّه ليس من الثابت أنّنا نستطيع الانطلاق هكذا من الوحدة إلى الجملة،وأقل من ذلك ثباتا أن أنحاء النّص تكون قادرة ،في يوم من الأيام على أن تولد متواليات « المشكّلة تشكيلا سويّا» المعنية بالأمر" [5]، وفي العملية التواصلية ، التي ترتبط بالمعطى السياقي اللغوي ، ومعطيات المقام التخاطبي ؛ فإن الأنسب تعريف النص على أنّه "متوالية دالّة (تعتبر منسجمة) من العلامات بين انقطاعين موْسومين في عملية تواصل .ولهذه المتتالية ،المرتّبة عامّة ترتيبا خطّيا ، خاصّية تكوين مجموعة ،تقوم فيها – بين عناصر من مستويات تعقيد مختلفة – علاقات تبعيّة متبادلة "[6] وتكون الجملة بذلك جزءا من أجزاء تركيب النص ، تتفاعل مع تقاطعات أخرى ، اجتماعية ، ونفسية ، وتداولية ..

4- **الأدب** :هو ما يتحلى به الإنسان من صفات وأخلاق تعود عليه وعلى مجتمعه بالإحترام والتقدير، ولمّا كانت المعارف، على أنواعها ، أجمل ما يتحلى به المرء وسببا هاما من أسباب محامده الأخلاقية ، كان كلٌّ عالم أديبا ، ثم ٌ ضيِّق مدلول الأدب

فاقتصر فيه على ما أجيد من الكتابة – سواءٌ أكان نثراً أم شعراً – وتَوفَّر فيه الجمال الفنيّ الذي تُلهمه القرائح ن وتجول في جوانبه يدُ الذَّوق ، فتصوغ من ألفاظه عالما من الفكر والعاطفة والخيال والموسيقى ،يحمل نفسَ الكاتب وقلبَهُ حتى إذا ولج القارئ أبوابَه استولى منه على شخصه سحرٌ عاملٌ في عقله ونفسه وقلبه .[7]

5- **الأدبيّة:** مصطلح أقره جاكبسون مع تحديده له على أنه جملة المظاهر الأدبية المشتركة في الأدب ، والتي تجعل من عمل إبداعي ما إنتاجاً أدبياً .[8]

ما ينبغي في من يقوم بقرآءة النص[9]:

- حذق العلم الذي أُعتمد في القرآءة ، وأحكام المنهج الذي سيباشَرُ به النص .

- القرآءة مهارةٌ، وتَحَصّل بمهارة ، تقتضي من القارئ حساً إبداعياً ، لا يحصل الحد الأدنى المشروط منه إلا بطول العشرة للأدب وعمق الخبرة بالنصوص ، والتشبع بالتجارب الأدبية في نماذجها الهامّة وجملة النصوص المدروسة في صورها العامّة .

ما ينبغي في النص موضع القرآءة :

- ينظر في النص قبل الشروع في قراءته وتحليله والتقديم له ، وذلك من خلال عدة أسئلة يراها لانسون من أهمها [10] :

1- هل نسبةُ النص صحيحةٌ ؟ وإذا لم تكن صحيحةً فهل النص منسوب خطأ إلى غير صاحبه أم إنه نص منتحل بأكمله .

2- هل النص نقيٌ ، كامل ، خال من التغيير أو التشويه أو النقص ؟

3- ما هو تاريخ النص ؟ تأريخ تأليفه ، لا تأريخ نشره فحسب .

4- هل تغيّر النص في طبعاته – إن كانت له أكثر من طبعة ؟

ما ينبغي في عملية قرآءة النص:

يرى لانسون أن هنالك عدداً من الاعتبارات التي ينبغي على القارئ والناقد أن يتحلى بها عند التعاطي مع النص الأدبي ومن أهمها [11] :

1- أن نعرض أنفسنا تعريضاً مباشراً ، وساذجاً للنص الأدبي لنتذوقه ولنتبيَّن تأثيره فينا " لن نعرف قطّ نبيذاً بتحليله تحليلاً كيماوياً أو بتقرير الخبراء دون أن نذوقه بأنفسنا "

ويرى أن " محو العنصر الذاتي محواً تاماً أمرٌ غيرُ مرغوب فيه ولا هو ممكن"، وعلى القارئ أن يراعي ذلك بقدرٍ لا يخرجه عن المنهجية العلمية الموضوعية .

2- تجنب التعامل مع النص وفق رؤية مسبّقة أو أن " نأخذ في بساطة بتأثيرات زميل كبير بدلاً من تأثيراتنا نحن " .

3- " حذار المعادلات العلمية والتراكيب الكيميائية " " فنحن لا نعرف قط العناصر ، ولا نسبة كل عنصر في المركب ، كما لا نستطيع أن نتنبأ بالناتج الذي سيصدر عن ذلك التركيب " .

وهنا على القارئ أن لا يوغل في الشكلية والتقطيع وتفكيك النص إلى أدنى وحداته بل يعنى بالظواهر الأبرز والأكثر شيوعاً.

هيكلة بناء القرآءة[12] :

يقوم البناء في مباشرة النص والتعاطي مع بنيات الشكل فيه ، وتأويل دلالات مضامينه ،على ثلاث مراحل أساس هي : التقديم والقرآءة والختم . وتُسبق بتمهيد حالة اقتضاء الأمر واستدعائه ، إذ هو ليس ركناً ثابتاً نحتاجه عند معالجة كل النصوص ، وإنما يكون مقتصراً على مرحلة الإعداد للقرآءة، بهدف مساندته وتعضيده ، وتذليل ما قد يعتوره من صعوبة .

التمهيد :

ويكون مختصراً وأهم ما يتم فيه :

- تذليل الصعوبات في الكلمات الصعبة والعبارات الغامضة .
- توضيح التراكيب والتعابير المعقدة .
- تعيين المفاهيم والمصطلحات التي هي بحاجة إلى بيان .
- التعريف بالأعلام الواردة .
- تحديد الأمكنة الواردة والأزمنة وضبطها .

كما يتم في مرحلة التمهيد :

- قراءة النص قراءةً متأنيةً بحس نقدي ، ولأكثر من مرة ؛ ليتكشّف – مبدئياً – ما خفي فيه من مظاهر ، وما يمتاز به من خصوصية .
- استخراج مفاتيح الولوج للنص ، وهي قد تكون صوتاً ، أو حرفاً ، أو كلمة أو عبارة ، أو تركيباً ، أو صورة ، وقد تكون في علاقات جدلية بين العبارات ، كما قد تكون المفاتيحُ مستترةً ، وخفيّةً عن ظاهر النص .

- تحديد مستويات النص ، من سرد أو وصف أو حجاج ، وما الشائع فيه ، والغالب عليه .

- **التقديم** :

ويتم في هذه المرحلة :

1- توثيق النص ، من حيث : المؤلف ، وتأريخ التأليف، وطبعة الكتاب الذي ورد فيه النص ، وفيما ذكره (لانسون) وسبق؛ استغناء .

2- بيان جنس النص ، وغرضه ، ونوعه.

- هل هو : نثري ، أم شعري ، أم مقامة ، أم مترجم ... ؟
- هل هو : مدح ، أم وصف ، أم غزل ، أم فخر أم رثاء ؟
- هل هو : أدبي ، أم علمي ، أم قانوني ، أم سياسي ، أم اجتماعي ؟

3- بيان مناسبة كتابة النص المدروس .

4- وضع النص في سياقه في المبنى والمعنى .

5- الاستناد إلى المعاجم المتخصصة ، في التعريف بالمصطلحات والمفاهيم ، وتوضيح ما هو ملتبس فيها أو بها .

6- تحديد عناصر النص ، وبيان حد كل عنصر ، وإن وجدت في بعض العناصر أو كلها تقسيمات داخلية ، فتحدد ، مع ذكر مسوغ التقسيم .

- بيان موضوع النص ، ومركز الثقل فيه ، وجوهر قضيته ، وتصاغ في عبارة بسيطة موجزة – وهو ما يستخلص من كامل النص

– وقد تكون للنص أكثر من قضية وموضوع ، وهنا " لا ينبغي أن نركن إلى العنوان في النص نثراً كان أم شعراً ، فالنص لا يتولد من العنوان ، وإنما يتولد العنوان فيه " [13] .

1- **القرآءة** :

تقوم هذه المرحلة على قسمين كبيرين هما :

1- التحليل : وهو بدوره يتضمن ثلاث مراحل هي :

أ- التحليل الخطي التفصيلي :

ويقوم على تتبع النص في بنيته اللغوية ، من بدايته حتى نهايته، والوقوف على الظواهر البارزة فيه ، وتحليل الجزئيات المهمة التي لها دورٌ ووظيفة نستجليها من السياق المباشر ، أو نرى فيها تأويلاً تحتمله ، بمسوغات وقرائن .

ب- التأليف الرأسي البنائي :

وهو البناء التتابعي للتحليل بما يشتمل عليه من وسائل ربط محكمة ، تحقق التماسك والانتظام فيه ، وتضمن التسلسل المنطقي لفقرات البناء .

ج- التحليل المجمل :

ويكون في نهاية هذه المرحلة ،وهو تحليل للنص في مجمله، وذكر الأفكار العامة التي يمكن أن تستنتج من مجموع مراحل التحليل الخطي .

2- **التعليق** :

ويكون التعليق فيما يَعِنّ للقارئ من نقاط تسترعي انتباهه وتدعوه إلى التعليق عليها ؛ لبيانها وتوضيحها ، أو إظهار دلالة خفية فيها؛ بما يوسع الفكرة، ويبسط المسألة من غير تأليف أو إسهاب .

كما يُعالج في(التعليق) بعض المصطلحات والمفاهيم ، والشواهد ، وغير ذلك مما يلفت النظر في النص .

وإضافة إلى الثوابت العامة في مباشرة النص – والتي هي أساس في المنهجية العلمية – هنالك آليات وثوابت يستعان بها في هذه المرحلة ،على اختلاف المنهج المتبع .

الثوابت في آليات التحليل :

1- الانطلاق من اللغة التي كتب بها النص :

إن اللغة المستعملة في النص الأدبي ، ليست وسيلة للتعبير والتوصيل فحسب ، بل إن لها وظيفة جمالية قائمة على التأثير في المتلقي ، إقناعا وامتاعاً ، لذا فإن الانطلاق منها ، وفي مستوياتها :

(الصوتية ، والصرفية ، والمعجمية ، والتركيبية ، والدلالية) ؛ أساس في القرآءة ، فهي الباب الذي يُدخل منه إلى النص، لنتبين خباياه، ونستقرئ عوالمه .

2- الاختيار بناءً على الأولويات :

الاختيار يعني محاولة الوقوع على المفاتيح الصالحة لقرآءة النص، وترتيبها حسب أولويتها من الأهمية ، فنبدأ بالأهم قبل المهم ثم ما دونهما في الأهمية ، إذ الوقوف على كل شيء لا يحقق الغاية المرجوة، من بيان خصائص النص وما يميزه عن غيره .

3- الخيط الرابط والسلك الناظم :

حتى يكون عقد الكلام منتظماً ، لا تفكيك فيه ولا اضطراب ، ينبغي على القارئ احكام السيطرة عليه ، ينطلق من النص ويعود إليه ، وأن تكون القرآءة لفقرات النص متسلسلة تسلسلاً علمياً ، ومنسابة بسلاسة دون نشاز ، محكمة الربط متقنة النسج ، محافظةً على خيط رابط يجمعها وينضدها .

4- مطاوعة النص:

لا يُدخل إلى النص بفكرة مسبّقة، أو رأي جاهز، أو نزعة أدبية، وإنما يُطاوع ، فلا يقوّل ما لا يقول، ولا يحمّل ما لا يحتمل.

وحتى يتشبع المحلل بالنص ويلبسَه ويتلبّسَهُ، عليه معاودة قراءَته، وتقليب النظر فيه، وسبر ما يجذبه إليه منه، ليقف عنده، وقفة البصير العارف ، ويقرأه قراءة الناقد المنصف.

5- التوظيف:

لا بد للقارئ أن يعمل على توظيف الظاهرة اللغوية، وخاصة ما يخرج منها عن المألوف في قاعدة أو تقليد.

6- التحليل الخطّي:

وهنا تبرز أهمية الجمع في شرح النص بين التحليل الخطي والتأليف الرأسي ، دون الخلط بين المستويين .

3- **الخاتمة**:

ويتم فيها إجمال الفوائد التي أبرزها التحليل والتعليق ، وما تَوصّل إليه من استنتاجات، كانت خلاصة مقاربة النص موضع القرآءة بالنصوص المماثلة له أو التي تتناقض معه، وبيان الآفاق التي يفتحها في الجوانب النظرية أو التطبيقية، بحيث تقدم أبواباً مفتوحة للاجتهاد والبحث والدراسة .

إن هذه الأركان هي قواعدٌ عامةٌ ، صالحةٌ ليقوم عليها بناء قراءة النصوص، وإنما تختلف فيها الآليات المستخدمة بحسب زاوية النظر التي يرى القارئ أنها الأنسبُ والأصلحُ لينظر بها ومنها إلى النص، فالأسلوبي مثلاً ينظر إلى الظواهر في الصورة والحركة والصوت، والتكرار، والاطراد، والحذف، والانزياح عن الأصل.. وغير ذلك من المظاهر في كافة مستويات اللغة المستخدمة، بينما ينظر المحلل في ضوء لسانيات النص

في "السبك والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام والمقامية، والتناص"[14]، والتداولي[15]، ينظر إليه في سياقه، والسيميائي[16]، يتلمس تأويلا للعلامات الواردة فيه.. ويبقى النص عصيا، عنيدا، لا يقدر عليه إلا من يمسك زمام ترويضه.

المراجع والإحالات :

1- محمد الهادي الطرابلسي، **خصائص الأسلوب في " الشوقيات "** ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس ، 1981 ، ص9 .

2- **ابن منظور ، اللسان** ، مادة (بني) .

3- **نعمان بوقرة ، المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب** ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط2 ، 2010 ، ص94 .

4- المرجع نفسه ، ص96 .

5- باتريك شارودو و دومنيك منغنو ، ،معجم تحليل الخطاب،**ترجمة** :عبدالقادر المهيري – **وحمّادي صمّود المركز الوطني للترجمة ،تونس** ،2013،ص554.

6- المرجع نفسه ، ص555.

7- حناالفاخوري، الموجزفيالأدبالعربيوتاريخه، دار الجيل ، بيروت ، **ط** 2،1991، **المجلد** 1،ص 13.

8- نعمانبوقرة،المصطلحاتالاساسيةفيلسانياتالنصوتحليلالخطاب،ص82 .

9- ينظر ، محمد الهادي الطرابلسي ، **تحاليل أسلوبية ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، ص**8 .

10- **لانسون ، منهج البحث في الأدب واللغة** ، ترجمة **محمد مندور** ، ضمن كتابه : **النقد** المنهجي عند العرب ، نهضة مصر، القاهرة ، 2004م ، ص402 – ص207 .

11- المرجع نفسه، ص409-410 .

12- محمد الهادي الطرابلسي: **" محاضرات في منهج البحث "**، ألقيت في جامعة السلطان قابوس ، خريف 2013م .

13- ينظر ،رابح أبو حوش ، **اللسانيات وتحليل النصوص** ،عالم الكتب الحديث ،ط2 ،2009، ص 168.

14- **سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشعري ، مجلة فصول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، العددان الأول والثاني ، يوليو 1991م ، ص154.

15- ينظر ،جورج يول، **التداولية** ، ترجمة قصيّ العتّابي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت ، ط1، 2010.

16- ينظر ،(آن إينو ،جان كلود كوكي،ميشال آريفيه ، وآخرون)،**السيميائية** :الأصول ، القواعد ،التاريخ ،ترجمة رشيد بن مالك ، دارمجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط1 ،2008.